الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

الموسم الثقافي

ومرة أخرى يفتتح « طه حسين » الموسم الثقافي لنادي الخريجين المصري بمحاضرة عن « الثقافة الوطنية ، والثقافة العالمية »

ولنا قبل أن نلخص المحاضرة عتاب على نادي الخريجين الذي يرأسه الدكتور العميد ، لأنه لم يوفر للعدد الضخم الذي حضر ليسمع « طه حسين » الأماكن .. وإذا كان النادي لا يتسع ، فقد كان في الإمكان أن يختار أي قاعة من القاعات الواسعة : نقابة الصحفيين ، أو يورت ، أو الشبان المسلمين . .

لقد ذهبنا قبل موعد المحاضرة بنصف ساعة فلم نجد مكانا واضطررنا أن نقف في تلك الطرقة العتيقة محشورين على وجه غاية في القسوة ؛ فترة تزيد على ساعة ونصف ساعة ..

وبعد . فهل أستطيع أن أرسم خطوطا عامة لهذه المحاضرة المتعة ؟ أرجو . .

تحدث الدكتور عن الثقافة ، وقال إنها ليست شيئا يمكن تحديده ، وإنها وسيلة من وسائل التقارب بين الناس والأجناس ، وإنها الأداة الوحيدة لمنع الحرب ونشر السلم . .

رسم العميد صورة للمثقف في العصر القديم ، قبل الإسلام وبعد الإسلام ، وكيف كان الشاعر يسعى من باديته إلى الحاضرة ، يحمل قصيدة يمتدح بها الخليفة أو الأمير ، فإذا وصل إلى الحاضرة أعجبته ورضي عنها فاستقر بها طويلا .. وأفاد من اتصاله بالناس في خلال رحلته الطويلة وفي خلال مقامه في الحاضرة ، فإذا عاد بعد ذلك إلى البادية ، عاد ومعه ثقافة واسعة جديدة ..

وقال الدكتور طه حسين إنه ليس هناك ثقافة وطنية وثقافة عالمية ، وإن التفريق بينهما خطأ واضح ، إذ أن الثقافة عالمية قطعا ، وإنه لا سبيل لأمة الآن أن تعيش منفصلة عن غيرها ، ولا أن يعيش شعب على ثقافته الوطنية وحدها . . وإنه لو عاش المصريون على الثقافة العربية وحدها ، لعاشوا بعيدا جدا عن الحياة الحاضرة

وليست مصر وحدها هي التي تستطيع أن تتخلف عن الثقافة العالمية ، بل إن الأدب الفرنسي والأدباء الفرنسيين ، لا يستطيعون أن يقولوا إنهم عاشوا دون أن يقرأوا الأدب الإنجليزي أو الألماني أو الروسي أو اليوناني . . وكذلك الشأن في الآداب الأخرى

وعاد الدكتور بعد ذلك فقال : غير أن الأدب في كل وطن يصور البيئة وروحها ، ذلك أن الثقافة بالرغم من عالميتها فإنها تتأقلم وتتبلور في صور النفوس التي تكتبها . .

ورسم الدكتور صورة المثقف ، فقال إنه ليس ذلك الذي يحفظ النصوص ويلقيها في كل مناسبة أو غير مناسبة ، إنما هو القادر على أن يهضم كل ما يقرأ من فنون الأدب والثقافة ، ويحولها في كيانه إلى قوة توجه وتصنع فنونا جديدة

وقال إن المثقف في عصرنا الحديث لا يستطيع أن يعد نفسه مثقفا ، إلا إذا ألم إلماما وافيا بكل الآثار التي تنتجها القرائح في عصره . . وأن يواصل دائما هذه القراءة ، ويداوم على الدرس الدائم !

وفي نهاية المحاضرة تحدث « طه حسين » عن التعليم ، وهاجم الرأي القائل بالتحفظ في إذاعته وتيسيره للناس جميعا ، وعمل على نظرية التعليم للتوظف ، هذه النظرية التي قامت في العهد البائد ويجب أن يقضي عليها العهد الجديد ، واستقبل المستمعون جملته هذه بالإعجاب والتصفيق . .

ومع الأسف فإن الصحف اليومية لم تذكر شيئا عن هذه العاصفة الضخمة التي أثارها عميد الأدب !

الأدب القصصي والشعر المنثور

في رسالة مطولة وردت إلينا من الكاتبة الثائرة «ليلى مسلم»

تقول : « إن حملتك على الأدب النسوى يا سيدى قاسية ، إنك تنكر أن هناك أدبا نسويا ، وقد رددت هذا أكثر من مرة وقلت إنه ليس هناك شاعرات ..

ووقفت من الشعر المنثور الذى كتبته «هند سلامة» موقف المعارضة .. لست أدرى إن كان ذلك منصبا على اللون الأدبى نفسه أم على المعانى التى تضمنها الشعر.. إننى أرسل إليك طى هذا بعض القصائد والقصص وأنا متحدية وواثقة من أنك ستغير رأيك فى الأدب النسوى والشعر المنثور

إن هناك كاتبات يا سيدى يكتبن لأنفسهن ، ويعشن فى برجهن العاجى ليقرأن .. ويكتبن .. إنهن — وأنا منهن — يعرفن أن الصحف لا تعرف غير الوجوه ، ولا تعرف غير اللواتى يتصلن بهذا الكاتب أو ذاك

أما أولئك اللاتى ينتجن فى صمت ، فهن لا يردن أن يعرفهن أحد .. غير أنه عز على أن تقول إنه ليس هناك أدب نسوى ، ولذلك أرسلت لك هذه الصورة من كتاباتى »

والحق أننى أعجبت بهذه الرسالة لأن كاتبتها مركزة الأسلوب، ولأن القطع التى أرسلتها إلى توحى بالثقة بأننا سنطالع فجر الأدب النسوى الجديد .. سنطالعه على يد أمثال ليلى مسلم .. وغيرها من الشابات المجددات ، اللواتى لم تتألق أسماؤهن بعد .. وأسارع فأعرض قطعة من شعر « ليلى مسلم » المنثور :

بينى وبينك .. خفى مجهول
سمه عبادة ، أو سمه حنينا
سمه ما شئت مما تعرفه وحدك ، ويخفى على من دونك
إنه موجود ، باق لا يزول
يسرى فجأة فى بدنى فيرتجف له ..
ثم يدب على أرضى .. فأقف فى ثبات
.. أقف أمامك ، وقفة موسى عند الطور الأمين
ويجرى بينك وبينى عتاب .. حار
وتنتصر أنت ، وأتوارى أنا خجلا ..
ويحزنك أمرى ..
فتبعث إلى ..
تبعث إلى من ذلك الينبوع الذى لا يجف ، ينبوعك !
وترطب جفاف روحى بآياتك الحسان
ولكنى من فرط خجلى لا أستجيب ..
فتنتظرنى قليلا .. ولا تهجرنى ..
وتفتش عنى فى كل مكان ..
فلا ترتفع عن ارتياده ، مهما كان ، لتهمس فى أذنى : عودى يا ضالة !
عندك المؤمنون الأبرار .. راكعين ، ساجدين
.. ولكنك لا تلبث أن تجيب دعوة الداعى .. إذ دعاك
.. فأنا أدعوك ..

* * *

وحق على أن أنشر هذا الشعر المنثور .. فهو غاية فى السمو والنقاء ..

إنه يرسم صورة لنفس « صوفية » تحلق وتصعد فى السماء . فارق بعيد بين هذا اللون « الروحى » ، وبين ذلك اللون « النفسى » الذى عارضناه ، وإن كنا نحتفظ برأينا فى الشعر المنثور بصفة عامة

« هند سلامة » تصور الحياة وتغوص فى معالمها .. وتجرى فى تيارها . « وليلى مسلم » تسمو وتتحرر ، وتتجه إلى الله ، وترسم النفس الإنسانية وهى تتعالى وتندفع إلى الخلود

وبعد فكلمة أهمس بها فى أذن كاتبتنا الثائرة .. نحن نتزه أقلامنا عن الغرض من وراء النقد ، ونجدنا على استعداد لأن نغير رأينا فى الأدب النسوى ، إذا برزت فنون من الأدب جديدة يمكن أن تملأ هذا الفراغ

إننا ياسيدتى ننحنى للأدب الرفيع .. ونحيى الروح الجديد .. و « الرسالة » يا سيدتى لا تعرف الوجوه ، ولكنها تعرف الفن الخالص .. فقدمى إليها إنتاجك ، وسترين أنها تحفل به ما دام متسقا مع مستواها وروحها

أنور الجندى